فريق
متميزون
E-BOOK

فيليب ك. ديك

الجمجمة

ترجمة: وسام محمد عبده

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق)متميزون(

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

الجمجمة

رواية مترجمة..

الكاتب: فيليب ك. ديك

ترجمة: وسام محمد عبده

عن الرواية..

قصتنا اليوم ليست قصة تقليدية أخرى عن السفر عبر الزمن؛ صحيح أن البطل مدان بالإعدام وثمن حريته أن يرتكب جريمة قتل جديدة، ولكن في زمن ماضٍ؛ فيصبح مسافر زمني مطلوب منه أن يقوم بتغيير التاريخ أو صناعته.. إنها قصة إنسان أراد أن يتحدى القدر، «بروميثيوس» جديد، «فاوست» باع روحه من أجل القوة، فما الذي حصل عليه؟

على الرغم من أن قصة «الجمجمة» تُعتبر من أدب الخيال العلمي الفلسفي، إلا أن قلم «فيليب ك. ديك» الرشيق، وقدرته على السرد الشيق، لن يسمح لك بأن تضع الكتاب من يدك قبل أن تنتهي من قراءته وتعرف سر الجمجمة.

«فيليب ك. ديك»: أحد أهم كُتَّاب الخيال العلمي الأمريكي وأغزرهم إنتاجًا، والذي اشتهر برؤاه الفلسفية العميقة التي حوَّلها إلى أعمالًا أدبية خالدة، يطرح في قصة «الجمجمة» عدة أسئلة حول: معنى التاريخ ومصير الإنسان، وعن الحقيقة والوهم، وحدود القدرة الإنسانية أمام القدر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجمجمة([1])

- ما هذه الفرصة؟

كان هذا «كونجر» مَن سأل.

- استمِر، أنا مهتم.

الغرفة صامتة، والوجوه شاخصة إلى «كونجر»، الذي لا يزال في زي السجن الرمادي. مال «المُتحدِّث» إلى الأمام ببطء، وقال:

- قبل دخولك إلى السجن، كانت أعمالك التجارية تسير على ما يُرام. غير قانونية، ولكنها مربحة للغاية. الآن، ليس لديك شيء، عدا ستة أعوام أخرى مُحتمَلة في الزنزانة.

تجهَّم «كونجر».

- هناك مهمة خاصة، هامة جدًّا بالنسبة لهذا المجلس، وتتطلب قدراتك الخاصة، كما أنها حالة ربما أثارت اهتمامك.. كنتَ صيَّادًا، أليس كذلك؟ قمتَ بعمل جيد بواسطة الشراك، والاختباء بين الأشجار، والانتظار في جوف الليل من أجل اللعبة. أعتقد أن الصيد لا بد وأن يكون مصدرًا لرضائك، المُلاحَقة، المطاردة...

تنهَّد «كونجر»، ومط شفتَيه، وقال:

- دعْ هذا جانبًا، وادخل إلى الموضوع، مَن تريد أن أقتل؟

ابتسم «المُتحدِّث»، وقال بهدوء:

- كل شيء في أوانه الصحيح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت السيارة في هدوء. كان الوقت ليلًا، وليس هناك أيُّ أضواء بطول الشارع. تطلَّع «كونجر» نحو الخارج، وقال:

- أين نحن؟ ما هذا المكان؟

ضغطت يد الحارس على ذراعه، قبل أن يقول له:

- تعالَ.. من هذا الباب.

ترجَّل «كونجر» من السيارة، إلى الرصيف المبتل. تبعه الحارس بهدوء، وخلفه «المُتحدِّث». سحب «كونجر» نفَسًا عميقًا من الهواء البارد. راح يتفحص الشكل العام المُبهَم للمبنى القائم أمامهم.

- أعرف هذا المبنى.. لقد رأيته من قبل.

كان يُحدِّق في المبنى بعينَيه التي اعتادتا الظلام، قبل أن يقول:

- إنه مبنى...

تقدَّم «المُتحدِّث» أمامه بضع خطوات وهو يقاطعه قائلًا:

- بلى، إنه مبنى «الكنيسة الأولى».. إنهم ينتظروننا.

- ينتظروننا؟ هنا؟!

قال «المُتحدِّث» وهو يصعد درجات السلم:

- بلى.

قال:

- تعلم أنه ليس مسموحًا لنا دخول الكنائس، خاصةً بالأسلحة.

ثم توقَّف، فتقدم نحوه جنديان مسلحان، وأحاط به واحد من كل جانب.

نظر «المُتحدِّث» نحوهما، وقال:

- حسنًا.

فأومئا متفهمين.

فُتِح باب الكنيسة. كان باستطاعة «كونجر» أن ينظر إلى الداخل، فرأى جنودًا آخرين، يقفون في كل مكان. جنودًا شبانًا يتطلعون بعيون واسعة في الأيقونات والصور المقدسة، فقال:

- أرى ذلك.

قال «المُتحدِّث»:

- كان هذا ضروريًّا. كما تعرف، كانت علاقتنا سيئة في الماضي مع «الكنيسة الأولى».

- هذا لن يساعد.

- لكن الأمر يستحق.. سوف ترى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مروا من خلال القاعة، ومن خلال الغرفة الرئيسة، حيث يُوجَد المذبح، وأماكن الركوع. اختلس «المُتحدِّث» نظرة على المذبح وهم يمرون من جانبه، ثم فتح بابًا جانبيًّا صغيرًا ودفع «كونجر» عبره، وهو يقول:

- يجب أن نُعَجِّلَ.. المؤمنون سوف يتدفقون على المكان قريبًا.

دخل «كونجر» يُصَعِّدَ النظر في الغرفة الصغيرة، منخفضة السقف، المُجلَّدة جدرانها بألواح خشبية قديمة داكنة اللون. كانت هناك روائح رماد وتوابل عطرية في الغرفة. راح يتشمم، وقال:

- ما هذه الرائحة؟

انتقل «المُتحدِّث» إلى الجانب الآخر من الغرفة، وهو يقول في نفاد صبر:

- الكئوس التي على الجدار. لست أدري.. تبعًا لمعلوماتنا؛ إنه مخفي هنا بواسطة...

راح «كونجر» يتطلع في أنحاء الغرفة، فرأى كتبًا وأوراقًا، ورموزًا مُقدَّسة، وصورًا. شعر برعشة تمر عبر جسده.

- هل هذا العمل يتعلق بأيِّ شخص في الكنيسة؟ إذا كان...

تحول نحوه «المُتحدِّث» مندهشًا، وقال:

- هل يمكن أن تكون مؤمنًا بـ«المُؤسِّس»؟ هل هذا ممكن، صياد، قاتل...

- كلا، بالطبع لا. كل أعمالهم تتعلق بالاستسلام للموت، واللا عنف...

- إذن، ما الأمر؟

قال «كونجر» باستهجان:

- لقد تعلمت ألا أتدخل في مثل هذه الأمور.. لديهم قدرات غريبة، ولا يمكن التفاهم بالعقل معهم.

نظر «المُتحدِّث» لـ«كونجر» مفكرًا، ثم قال:

- فكرتك خطأ. الأمر لا يتعلق بأحد هنا. لقد وجدنا أن قتلهم يؤدي إلى زيادة عددهم.

- إذن لِم نحن هنا؟! هَلُمَّ بنا لنغادر.

ارتسمت ملامح ابتسامة على وجه «المُتحدِّث» وهو يقول:

- كلا، لقد جئنا من أجل شيء مهم. شيء سوف تحتاج إليه للتعرف إلى رَجُلك، ودونه لن تستطيع أن تجده. لا نريدك أن تقتل شخصًا خطأً.. الأمر مهم.

ارتفع صدر «كونجر» وهو يقول:

- أنا لا أخطئ. اسمع أيها «المُتحدِّث»...

قاطعه «المُتحدِّث»:

- هذا وضع غير عادي. الشخص الذي سوف تذهب خلفه، الشخص الذي نرسلك لتجده، معروف فقط ببعض الأشياء الموجودة هنا. إنها آثاره الوحيدة، والوسيلة الوحيدة لتحديد هويته، دونها...

- ما تلك الأشياء؟

اقترب من «المُتحدِّث»، فانزاح «المُتحدِّث» جانبًا، وقال:

- انظر.

وأزاح جدارًا منزلقًا، كاشفًا عن كوة مربعة مظلمة، وقال:

- هناك.

انحنى «كونجر» مُحدِّقًا في داخل الكوة، ثم عبس وقال:

- جمجمة! هيكل عظمي!

قال «المُتحدِّث»:

- الرجل الذي تسعى خلفه مات منذ قرنين! وهذه هي كل رفاته، وهذا هو كل ما لديك لتجده.

ظل «كونجر» فترة محملقًا في العظام التي بالكاد تُرَى في الكوة. كيف يمكن لرجل مات من قرنين أن يُقتَل؟! كيف يمكن أن يُطارَد ويُقتل؟ كان «كونجر» صيادًا، يعيش كما وأين يحلو له، حافظ على حياته بالتجارة، وجلب الفراء من المُقاطَعات على متن سفينته، التي يقودها بأقصى سرعة، متسلِّلًا عبر خطوط الجمارك حول كوكب الأرض. اصطاد في جبال القمر العظيمة.. طارد في مدن المريخ المهجورة.. استكشف في...

قال «المُتحدِّث»:

- أيها الجندي، خذ هذه الأشياء وحمِّلها في السيارة، ولا تُضِع أيَّ قطعة منها.

دخل الجندي إلى الخزانة، وبحذر انحنى ليأخذ الأشياء. بينما واصل «المُتحدِّث» الكلام بهدوء إلى «كونجر»:

- آمل أن تُظهِر لنا ولاءك الآن. هناك دائمًا طرق للمواطنين لاستعادة مواطنتهم، ولإظهار تفانيهم لمجتمعهم. هذا الأمر، سوف يكون فرصة عظيمة من أجلك. وجديًّا، لا أظن أن هناك فرصة أفضل يمكن أن تحصل عليها. وبالنسبة لمجهوداتك، فسوف يكون هناك تعويض لها بالتأكيد.

راح كل رجل يتطلع نحو الآخر؛ «كونجر»، نحيل وفظ، «المُتحدِّث» أنيق في لباسه الرسمي. قال «كونجر»:

- أفهمك.. أعني أنني أفهم هذا القسم المتعلق بالفرصة. ولكن كيف يمكن لرجل ميت منذ قرنين أن...

قال «المُتحدِّث»:

- سوف أشرح لك فيما بعد. الآن، يجب أن نسرع.

كان الجندي قد انصرف بالعظام، ملفوفة في دثار، يحملها بعناية بين ذراعَيه. مشى «المُتحدِّث» نحو الباب، وقال:

- تعالَ، لقد اكتشفوا بالفعل أننا قد اقتحمنا المكان، وسوف يأتون في أيِّ لحظة...

أسرعوا عبر الطريق الرطب إلى السيارة المنتظرة، وبعد ثانية واحدة ارتفع قائد السيارة بها في الهواء، فوق أسطح المنازل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أراح «المُتحدِّث» ظهره إلى المقعد، وقال:

- «الكنيسة الأولى» لها ماضٍ مثير، أظن أنك مُلِم به، ولكني أود أن أتحدث حول بضع نقاط مهمة لنا: في القرن العشرين بدأت «الحركة»، خلال إحدى الحروب الدورية، وتطورت «الحركة» بسرعة، متغذية على الشعور العام بالعبث، وإدراك أن كل حرب كانت تولِّد حرب أخرى أكبر منها، دون نهاية في الأفق. وقد طرحت

«الحركة» جوابًا بسيط لهذه المسألة: «بدون أسلحة واستعدادات عسكرية؛ لن تكون هناك حروب، وبدون جماعة معقدة من التقنيين والعلماء؛ لن تكون هناك أسلحة». لقد دعت «الحركة» إلى أنه لا يمكنك إيقاف الحرب بالتخطيط لها، وأن الإنسان قد خسر إنسانيته في مواجهة الآلات والعلوم، وأنه يبتعد عن إنسانيته بالاندفاع في حرب عظيمة تليها حرب أعظم. بضع حروب أخرى، ولسوف ينتهي العالم.

كان «المُؤسِّس» شخصًا مغمورًا من بلدة صغيرة في الغرب الأوسط الأمريكي، لا نعرف حتى اسمه، كل ما نعرفه هو أنه ظهر يومًا واحدًا، داعيًا إلى تعاليم نبذ العنف وعدم المقاومة، وحظر القتال، وعدم دفع الضرائب لدعم التسليح، وتمويل البحث العلمي، باستثناء الأبحاث الطبية.. عِش حياتك بهدوء، واعتنِ بحديقتك، وابقَ بعيدًا عن الشؤون العامة، واهتم بشؤونك الخاصة.. كن منعزلًا، مجهولًا، فقيرًا.. تخلَّصْ من معظم ممتلكاتك الخاصة، وغادِر المدينة.

على الأقل، هذا هو ما تطور مما دعا إليه الناس.

حطت السيارة على سقف بناية.

- هل نادى «المُؤسِّس» بهذه التعاليم، أو ببذرتها؛ ليس هناك ما يكشف لنا كم أضاف المؤمنون إليها بأنفسهم. السلطات المحلية ألقت القبض عليه ذات مرة، بوضوح كانوا مقتنعين أنه يمثل قيمة ما؛ فلم يُطلَق سراحه. أُعدِم، ودُفِن جسده سرًّا. وبدا كأن الطائفة انتهت.

ابتسم «المُتحدِّث»، وأكمل:

- لسوء الحظ، بعض أتباعه أشاعوا أنهم قد رأوه بعد موته، وانتشرت الشائعة، بأنه قد هزم الموت، وغدا إلهًا، وتنامى الحديث. وها نحن اليوم، مع «الكنيسة الأولى»، نُعرقِل كل تقدُّم اجتماعي، ونُدمِّر المجتمع، ونزرع بذور الفوضى...

قال «كونجر»:

- ولكن الحروب.. ألم تنتهِ؟

- الحروب... لم تعُد هناك حروب. ولا بد من الاعتراف أن الفضل في ذلك يرجع إلى ممارسة «مبدأ عدم العنف» على نطاق عام. ولكن، دعنا نُلقِي نظرة أكثر موضوعية على الحروب اليوم: لقد كان للحرب قيمة انتقائية تتفق مع تعاليم «داروين»، و«مندل»، وغيرهما. فبدون الحرب، سوف نسمح لجموع من الناس غير ذوي قيمة، غير ذوي كفاءة، بلا ذكاء أو تدريب، بأن ينموا ويزيدوا دون حساب. الحرب عملت على تقليل أعدادهم، مثل العواصف والزلازل والجفاف، إنها طريقة الطبيعة في التخلص من غير الصالح. بدون الحروب، زادت نسبة العناصر الدنيا بين البشر، وهددوا القلة المتعلمة؛ هؤلاء المُتعلِّمون والمُدرِّبون، القادرون على تعبئة وتوجيه المجتمع. ليس لديهم أيُّ تقدير للعلم أو المجتمع العلمي المُؤسَّس على العقل، وهذه الحركة تسعى إلى مساعدتهم وتحريضهم. فقط، عندما يُصبِح العلماء في كامل السيطرة، يمكن...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظر في ساعته، ثم ركل باب السيارة وفتحه، وهو يقول:

- سأخبِرك بقية كلامي ونحن نسير.

عبرا فوق السقف.

- لا شك أنك أدركت لمَن هذه العظام، ومَن الذي نسعى خلفه. مَن مات منذ نحو قرنين، الآن هذا الرجل الجاهل من الغرب الأوسط، أضحى «المُؤسِّس». المأساة أن سلطات زمنه قد تصرفت ببطء؛ لقد سمحوا له أن يتكلم، وأن ينشر رسالته. سُمِح له أن يدعو الناس، وأن يؤسس طائفته. وبمجرد أن تحدث هذه الأمور، لا يمكن وقفها.. ولكن، ماذا إذا مات قبل أن يبدأ في دعوته؟ ماذا إذا لم تُذاع أيٌّ من تعاليمه؟ لقد استغرق لحظة واحدة كي ينطق بها، كما نعرف. قالوا إنه تحدث مرة واحدة، مرة واحدة فقط. ثم أتت السلطات، وأخذته بعيدًا. لم يقاوم، كان حادثًا صغيرًا.

تحول «المُتحدِّث» نحو «كونجر»، وقال:

- صغير.. ولكننا نجني عواقبه إلى اليوم.

دخلا إلى البناية، كان الجنود قد وضعوا الجمجمة فوق الطاولة، وتحلَّقوا حولها، وجوههم الشابة منتبهة. مضى «كونجر» نحو الطاولة، شق طريقه بين الجنود، ثم انحنى على الطاولة وحدَّق في العظام، وقال:

- إذن هذه هي رفاته.

ثم أردف مُغمغِمًا:

- «المُؤسِّس».. مَن أخفت الكنيسة رفاته لقرنين.

قال «المُتحدِّث»:

- الأمر كذلك. ولكننا الآن نملك هذه الرفات. تعالَ إلى القاعة.

عبرا الغرفة إلى باب، دفعه «المُتحدِّث» ففتحه. رأى «كونجر» مجموعة من الفنيين، وآلات تطن وتدور، وطاولات تحمل حاويات. في المنتصف، كان هناك قفص بلوري لامع. ناول «المُتحدِّث» مسدسًا صغيرًا إلى «كونجر»، وقال:

- أهم شيء يجب أن تتذكره هو العودة بالجمجمة؛ لإعادتها وحفظها، واستخدامها للمقارنة والإثبات. ليكن تصويبك منخفضًا.. نحو الصدر.

قال «كونجر» وهو يزن السلاح في يده:

- يبدو جيدًا.. أعرف هذا السلاح، لقد شاهدته من قبل، ولكني لم أستخدم واحدًا أبدًا.

أومأ «المُتحدِّث»، وقال:

- سوف يتم تعليمك كيف يمكن استخدام السلاح وتشغيل «القفص». وسوف تحصل على جميع البيانات التي لدينا عن الوقت والمكان. الموقع الأكيد كان مكانًا يُدعَى «حقل هدسون»، في عام 1960، كان عبارة عن مجتمع صغير خارج «دنفر» في

«كولورادو». ولا تنسَ أن الأداة الوحيدة لتعرُّف هوية الرجل هي جمجمته. هناك علامات خاصة على الأسنان الأمامية.. خاصةً السِّن القاطعة اليسرى.

كان «كونجر» يستمع مُغيبًا، وهو يشاهد رجلين في ملابس بيضاء، يلفان الجمجمة بعناية في حقيبة بلاستيكية، ثم يربطانها، ويحملانها إلى «القفص البلوري»، فقال:

- ماذا لو أخطأت؟

- اخترت رجلًا خطأً؟ فابحث عن الرجل الصحيح بعده. لا تعُد حتى تنجح في الوصول إلى «المُؤسِّس». ولا يجب أن تنتظره حتى يبدأ خطابه، هذا ما يجب أن نتجنبه، يجب أن تتصرف سابقًا إيَّاه. انتهِز الفرصة، وأطلِق النار بمجرد أن تعتقد أنك وجدته. سوف يكون شخصًا غير عادي، ربما غريب عن المنطقة، فمن الواضح أنه لم يكُن معروفًا.

كان «كونجر» يستمع صامتًا.

قال «المُتحدِّث»:

- هل تعتقد أن لديك كل شيء الآن؟

قال «كونجر»:

- بلى.. أظن ذلك.

دخل إلى «القفص البلوري»، وجلس واضعًا يدَيه على عجلة القيادة.

قال «المُتحدِّث»:

- حظًّا موفقًا. سوف ننتظر النتيجة. هناك بعض الشكوك الفلسفية عما إذا كان يمكن تغيير الماضي.. هذا يجب أن يحسم هذه الشكوك، مرة واحدة وللأبد.

راحت أصابع «كونجر» تربط حزام الأمان.

قال «المُتحدِّث»:

- بالمناسبة، لا تحاول استخدام هذا «القفص» لغرض غير مُتوقَّع، لدينا جهاز تحكُّم مُثبَّت فيه، لو أردنا إعادته، سنعيده.. حظًّا موفقًا.

لم ينبس «كونجر» بكلمة. باب «القفص» أُغلِق. رفع إصبعه ولمس عجلة القيادة ثم أدارها برفق. كان لا يزال محدِّقًا في الحقيبة البيضاء، عندما تلاشت الغرفة من حوله. ولفترة طويلة، لم يكُن هناك أيُّ شيء على الإطلاق.. لا شيء وراء شبكة القفص البلورية. عصفت بعقل «كونجر» أفكار فوضوية ومرتبكة: كيف سوف يعرف «الرجل»؟ وكيف يتأكد مُقدَّمًا؟ كيف يبدو هذا «الرجل»؟ ما اسمه؟ ماذا كان يفعل قبل أن يُلقِي خطبته؟ هل سوف يكون شخصًا عاديًّا، أو شخصًا غريبًا مهووسًا؟ التقط «كونجر» المسدس، ووضعه على وجنته. كان معدنه باردًا وناعمًا. جرَّب أن يُغيِّر شكله. كان سلاحًا جميلًا، من نوع الأسلحة التي يمكن أن يقع في غرامها. لو كان لديه هذا السلاح في صحاري المريخ، في تلك الليالي الطويلة،

عندما كان يكمن ساكنًا يتخدر جسده من البرد، منتظرًا تلك الأشياء التي تتحرك في الظلام.

وضع السلاح جانبًا، ونظف عداد القفص الذي بدأ الضباب يتكثف ويتراكم عليه. دفعة واحدة تكونت ارتجاجات وارتعاشات حوله. وانبعثت أضواء وأصوات وحركات من الأسلاك البلورية. أوقف أجهزة التحكم، ووقف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان على منحدر جبلي يطل على بلدة صغيرة، في منتصف النهار، والهواء منعش ومتألق. بعض السيارات تتحرك على الطريق، متجهة بعيدًا إلى ما وراء الحقول المنبسطة. فتح «كونجر» الباب، وخرج منه. شم الهواء، ثم عاد إلى القفص.

وقف أمام مرايا معلقة على رف، وراح يتفحص ملامحه. حلْق اللحية لم يكُن مسموحًا به في السجن قَطُّ، سوَّى شعره. ارتدى ملابس تناسب منتصف القرن العشرين: ياقة غريبة، ومعطفًا، وحذاءً مصنوعًا من جلد الحيوانات. في جيبه، وجد نقودًا تعود إلى هذا الزمن، وهو شيء مهم. لا شيء آخر يحتاج إليه، لا شيء إلا قدرته وبراعته الخاصة. ولكنه لم يستخدمها من قبل بهذه الطريقة.

مضى منحدرًا على الطريق نحو البلدة. أول ما لاحظه، كانت الصحف المعروضة على قائم عرض:

الخامس من أبريل عام 1961.

إنه ليس بعيدًا جدًّا. نظر حوله، كانت هناك محطة وقود، ومربأ، وبعض الحانات ومحلات البضائع الرخيصة. في أسفل الشارع، كان هناك محل بقالة، وبعض المباني العامة. بعد بضع دقائق، كان يصعد درجات سلم المكتبة العامة الصغيرة ويدلف إلى الداخل الدافئ. نظرت أمينة المكتبة نحوه مبتسمة، وقالت:

- مساء الخير.

ابتسم، ولم يتكلم؛ حتى لا يظهر في كلامه أي خطأ أو تبدو كلماته غريبة وملحونة. ذهب نحو طاولة وجلس إلى جوار كومة من المجلات. لدقائق، ظل يتطلع فيها، ثم وقف على قدمَيه ثانيةً، وعبر الغرفة نحو قائم عرض أمام الجدار.. راح قلبه يدق بشدة.

صحف نهاية الأسبوع.

أخذ مجموعة منها إلى الطاولة، وراح يمسحها بعينَيه بسرعة، كانت الطباعة غريبة، والحروف غريبة، وبعض الكلمات غير مفهومة. وضع الصحف جانبًا، وراح يبحث مجددًا. على الأقل قد وجد ما يريد.

حمل صحيفة «شيريوود جازيت» إلى الطاولة وفتح الصفحة الأولى.

أخيرًا وجد ما يبحث عنه:

مسجون يشنق نفسه.

... كان قد عُثِر على رجل مجهول، احتجزه مكتب شرطة المقاطعة للاشتباه في قيامه بأعمال إجرامية، ميتًا صباح اليوم...

انتهى من قراءة الخبر؛ كان غامضًا، وغير مفيد. كان يحتاج إلى مزيد من التفاصيل، حمل صحيفة «جازيت» إلى قائم العرض، وبعد لحظة من التردد، اقترب من أمينة المكتبة، وسألها:

- مزيدًا.. مزيدًا من الصحف.. الصحف الأقدم.

عبست، وقالت:

- أقدم إلى أيِّ مدى؟ وأيُّ صحف؟

- أقدم شهورًا.. قبل ذلك.

- من صحيفة «جازيت»؟ هذا كل ما لدينا.. ما الذي تريده؟ ما الذي تبحث عنه؟ ربما أمكنني مساعدتك.

صمت.

خلعت نظارتها، وقالت:

- ربما يمكنك أن تجد الأعداد القديمة في مكتب صحيفة «جازيت».. لماذا لا تحاول هناك؟ إذا كنت ستفعل، أخبِرني، ربما استطعت مساعدتك...

غادر المكان.

كان مكتب «جازيت» في نهاية شارع جانبي، والرصيف كان محطمًا ومشروخًا. دخل المكتب، كانت هناك مدفأة موقدة في ركن المكتب الصغير. وقف رجل ثقيل الوزن وأتى نحو طاولة الاستقبال، وقال:

- ما الذي تريده أيها السيد؟

- الصحف القديمة.. منذ شهر، أو أبعد.

- لتشتريها؟ أتريد شراءها؟

أخرج بعضًا من المال الذي بحوزته، وقال:

- بلى.

حدَّق الرجل في المال، وقال:

- بالتأكيد.. بالتأكيد، انتظِر دقيقة.

خرج مسرعًا من الغرفة، وعندما عاد كان يترنح تحت وزن ما يحمل، محمر الوجه، وقال مُنهَكًا:

- هذه بعضها. هذا ما استطعت أن أجده.. يغطي كامل العام، وإذا كنت ترغب في المزيد...

حمل «كونجر» الصحف إلى الخارج. جلس على أحد جانبَي الطريق، وبدأ في تصفُّحها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجد ما يبحث عنه في عدد يعود إلى أربعة أشهر مضت.. في «ديسمبر». كان خبرًا صغيرًا، صغيرًا لدرجة أنه كاد أن يفوته. ارتعشت يده وهو يمر بعينيه على الخبر، مستخدمًا القاموس الصغير ليفهم الكلمات الميتة القديمة.

رجل يُحتجَز لقيامه بمظاهرة غير مرخصة.

... تبعًا للمأمور «ضَف»، كان عملاء خاصون تابعون لمكتب المأمور، في «كوبر كريك»، قد اعتقلوا رجلًا مجهول الهوية، والذي رفض الإفصاح عن اسمه. قيل إن الرجل كان قد شُوهِد مؤخرًا في الأنحاء، كما شُوهِد دائمًا في...

«كوبر كريك». ديسمبر 1960.

قلبه يضطرب.. هذا كل ما يحتاج أن يعرفه. وقف، وهز جسده، وضرب قدمَيه في الأرض الباردة. الشمس عبرت السماء إلى الحواف البعيدة للتلال. ابتسم.. في تلك اللحظة، اكتشف الوقت والمكان الدقيقين.. الآن، كل ما يحتاج إليه أن يعود في الزمن، ربما إلى نوفمبر، وفي «كوبر كريك».

مشى عبر البلدة، متجاوزًا المكتبة، ومتجاوزًا محل البقالة. لم يكُن الأمر صعبًا، كان الجزء الصعب قد انتهى. يمكن أن يذهب إلى هناك، ويستأجر غرفة، ويستعد منتظرًا ظهور الرجل. تحوَّل نحو مركز البلدة، خرجت امرأة من أحد الأبواب مُحمَّلة بحقائب عدة، تنحَّى «كونجر» جانبًا؛ ليسمح لها بالعبور، ألقت المرأة نظرة عليه، وفجأة، شحب وجهها، واتسعت عيناها، وفتحت فمها.

أسرع «كونجر» الخطا، نظر خلفه، وسأل نفسه: «ماذا دهاها؟». كانت المرأة لا تزال تحملق فيه، وقد سقطت حقائبها على الأرض. زاد «كونجر» من سرعته، ودخل أول شارع جانبي يلقاه. عندما نظر للخلف ثانيةً، كانت المرأة تتبعه إلى الشارع الجانبي، وما زالت تحملق فيه. انضم إليها رجل، واندفع الاثنان يجريان نحوه. ضلَّلهما، وغادر البلدة مسرعًا بسهولة نحو التلال التي تطل على البلدة. عندما بلغ «القفص»، توقف. ما الذي حدث؟ أكان هذا بسبب ملابسه؟ فكَّر مليًّا، ومع غروب الشمس دخل إلى القفص.

جلس أمام عجلة القيادة. ظل منتظرًا للحظات، ويداه مرتاحتان فوق لوحة التحكم. ثم أدار عجلة القيادة لمدة زمنية محدودة، وراح يرقب لوحة التحكم.. أحاط به اللون الرمادي، ولكن ليس لفترة طويلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صعَّد فيه الرجل النظر متفحصًا، وقال:

- من الأفضل أن تدخل.. الجو بارد في الخارج.

عبر «كونجر» ممتنًّا ودخل إلى غرفة المعيشة، وهو يقول:

- أشكرك.

كان المكان دافئًا من أثر مدفأة الكيروسين الموجودة في الركن. جاءت من المطبخ سيدة ضخمة ترتدي ثوبًا مُزيَّنًا بالزهور. راحت والرجل ينظران إليه متفحصين. قالت السيدة:

- إنها غرفة جيدة للإيجار. أنا السيدة «آبلتون». إنها دافئة، وسوف تحتاج إلى ذلك في هذا الوقت من السنة.

أومأ برأسه، وقال:

- بلى.

وراح ينظر حوله.

- أتود أن تأكل معنا؟

- ماذا؟

عقد الرجل حاجبَيه، وقال:

- أتود أن تأكل معنا؟ أنت لست أجنبيًّا، أليس كذلك أيها السيد؟

ابتسم، وقال:

- بلى، لقد وُلِدت في هذا البلد، ولكن في الغرب البعيد.

- «كاليفورنيا»؟

قال مترددًا:

- كلا.. «أوريجون».

سألت السيدة «آبلتون»:

- كيف يبدو هناك؟ لقد سمعت أن لديهم الكثير من الأشجار والخضرة. إنها قاحلة هنا.. أنا عن نفسي جئت من «شيكاغو».

قال الرجل:

- هذا هو «الغرب الأوسط».. إنك لست أجنبيًّا.

رد «كونجر»:

- «أوريجون» ليست بلدًا أجنبيًّا؛ إنها جزء من «الولايات المتحدة».

أومأ الرجل، وراح يرمق ملابس «كونجر»، وقال:

- سترة لطيفة أيها السيد.. من أين حصلت عليها؟

شعر «كونجر» بالضياع، فتحرك، قائلًا وهو غير مطمئن:

- إنها سترة جيدة. ربما كان من الأفضل أن أذهب إلى مكان آخر إذا لم تكُن ترغب في وجودي هنا.

رفعا أيديهما معترضين، وابتسمت المرأة له، وقالت:

- نحن مضطرون أن نحاذر من هؤلاء الحُمْر ([2]).. كما تعرف، الحكومة دائمًا تُحذِّرنا منهم.

علَّق في حيرة:

- الحُمْر؟!

- الحكومة تقول إنهم في كل مكان. من المفترض أن نُبلِّغ عن أيِّ شيء غريب أو غير عادي، أيِّ شخص لا يبدو عاديًّا.

- مثلي؟

بدا عليهما الحرج، ثم قال الرجل:

- حسنًا، أنت لا تبدو لي من الحُمْر، ولكن علينا أن نكون حذرين. صحيفة «تربيون» تقول...

كان «كونجر» يستمع بنصف تركيز.. سوف يكون الأمر أسهل مما توقع. من الواضح أنه سيصله خبر قدوم «المُؤسِّس» بمجرد ظهوره؛ يرتابون في كل شيء مختلف وسوف يتناقلون الحكي والشائعات وينشرون القصة. كل ما عليه فعله، أن يبقى قريبًا ويُنصِت. يبقى في المخزن العام أو حتى هنا في منزل السيدة «آبلتون» الواسع.

قال:

- هل يمكن أن أرى الغرفة؟

ذهبت السيدة «آبلتون» نحو الدرج، وهي تقول:

- بالتأكيد.. سوف أكون سعيدة أن أريك إياها.

صعدا الدرج. كان الجو بالأعلى أبرد، ولكن ليس في مثل برد الخارج، ولا يُقارَن ببرد ليالي صحاري المريخ؛ لذلك كان يشعر بالامتنان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

راح يسير حول المخزن ببطء، وينظر إلى معلبات الخضراوات، وعبوات اللحم والسمك المجمدة، لامعة ونظيفة في واجهة الثلاجة المفتوحة. أتى «إد دافيس» نحوه، وقال:

- هل يمكنني مساعدتك؟

بدت ملابس الرجل ولحيته غريبة، لم يستطِع «إد» أن يُخفِي ابتسامة هازئة.

قال الرجل في صوت مرح:

- لا شيء.. أنا فقط أتفرج.

قال «إد»:

- بالتأكيد.

وعاد خلف طاولة العرض.

كانت السيدة «هاكت» تدفع عجلة مشترياتها، فسألت هامسةً:

- مَن هو؟

وأشاحت نحوه بوجها مشيرة بأنفها كأنها تتشمم شيئًا ما.

- لم أرَه من قبل؟

- يبدو ظريفًا لي، ولكن لماذا يُطلِق لحيته؟ لا يُوجَد أحدًا غيره هنا يُطلِق لحيته.. ربما تكون ذات مغزًى له.

- ربما يحب أن تكون له لحية. كان لي عم...

جمدت السيدة «هاكت»، وقالت:

- انتظِر. أليس هذا.. الذي يسمونه الحُمْر: «كبيرهم»؟

- ألم يكُن لديه لحية؟ «ماركس» كان ذا لحية.

ضحك «إد»، وقال:

- إنه ليس «كارل ماركس».. لقد شاهدت صورته ذات مرة.

حملقت السيدة «هاكت» فيه، وقالت:

- أفعلت؟

احمرَّ وجهه قليلًا، وقال:

- بالتأكيد.. ماذا في ذلك؟

قالت السيدة «هاكت»:

- بالتأكيد، أود لو عرفت عنه المزيد.. أعتقد أنه يجب أن نعرف المزيد لمصلحتنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أيها السيد، هل تريد توصيلة؟

استدار «كونجر» سريعًا، وأنزل يده ناحية السلاح الصاعق في حزامه. اطمئن؛ كانا مجرد شابين صغيرين، فتى وفتاة. ابتسم لهما، وقال:

- توصيلة؟ بالتأكيد.

دلف «كونجر» إلى السيارة وأغلق بابها. ضغط «بيل ولت» دواسة الوقود؛ فزمجرت السيارة متحركةً إلى أسفل الطريق السريع.

قال «كونجر» بحذر:

- أُقدِّر لكما التوصيلة.. كنت أتمشى بين البلدات، ولكن المسافة كانت أكبر مما قدَّرت.

سألته «لورا هانت»:

- من أين أنت؟

كانت حسناء، صغيرة الجسم، سوداء الشعر، ترتدي معطفًا أصفر وتنورة زرقاء.

- من «كوبر كريك».

عبس «بيل»، وقال:

- من «كوبر كريك».. هذا ظريف. لا أذكر أني رأيتك هناك من قبل.

- لماذا؟ هل جئت من هناك؟

- لقد وُلِدت هناك، وأعرف كل مَن هناك.

- لقد انتقلت مؤخرًا من «أوريجون».

- من «أوريجون»؟ لم أعرف أن أهل «أوريجون» لديهم لكنة.

- هل لديَّ لكنة؟

- أنت تستخدم كلمات مضحكة.

- كيف؟

- لا أعرف.. ألا يفعل يا «لورا»؟

قالت «لورا»:

- أنت تقضم الألفاظ.. تكلَّمْ أكثر، فأنا مهتمة باللهجات.

نظرت إليه متبسمة؛ فبدت أسنانها البيضاء. شعر «كونجر» أن قلبه ينقبض.

- لديَّ عيب في الكلام.

اتسعت عيناها، وقالت:

- هه.. أنا آسفة.

راحت السيارة تسير، وهما يسترقان النظر إليه بفضول. أما «كونجر»، فمن جانبه كان يجاهد نفسه ليجد طريقة يطرح بها الأسئلة عليهما دون أن يبدو فضوليًّا.

قال:

- أظن أنه لا يُوجَد كثيرٌ من خارج البلدة الذين يأتون هنا.

- غرباء؟

هز «بيل» رأسه، وقال:

- كلا.. ليس كثيرًا.

- أظن أنني أول غريب يأتي إلى هنا منذ مدة طويلة.

- أظن ذلك.

قال «كونجر» مترددًا:

- صديق لي.. شخص ما أعرفه، ربما أتى إلى هنا. أين تعتقد أن...

ثم توقف.

- أهناك شخص يمكن أن يكون شاهده؟ شخص يمكنني أن أسأله؛ لأتأكد أنني لن أضيعه إذا حضر.

كانا في حيرة، وقالا:

- فقط أبقِ عينَيك مفتوحتين.. «كوبر كريك» واسعة جدًّا.

- حسنًا.

راحا يقودان في صمت. راح «كونجر» يدرس ملامح الفتاة؛ ربما كانت خليلة الفتى، أو ربما هي «زوجة اختبارية».. هل طوروا «الزواج التجريبي» بعد؟ لا يكاد يتذكر. ولكن مثل هذه الفتاة الحسناء لا بد وأن تكون خليلة أحدهم الآن؛ فمنظرها يشير إلى أنها في السادسة عشرة.. ربما يسألها لاحقًا إنْ التقيا ثانيةً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في اليوم التالي، خرج «كونجر» للتمشي على طول أحد الشوارع الرئيسة في «كوبر كريك». تجاوز المخزن العام، ومحطتَي الوقود، ومكتب البريد. في الزاوية كان هناك محل بيع مشروبات. توقف، لمح «لورا» في الداخل تتحدث إلى موظف. كانت تضحك، وترتج إلى الأمام والخلف. دفع «كونجر» الباب وفتحه. غمره الهواء الدافئ. كانت «لورا» تشرب الشكولاتة الدافئة مع الكريم المخفوق. نظرت إليه مشدوهة وهو يجلس إلى المقعد المجاور لها.

قال:

- معذرةً. هل أقتحم خلوتك؟

هزت رأسها، وقالت:

- كلا.

كانتا عيناها واسعتين وسوداوين.

- على الإطلاق.

اقترب الموظف، وسأله:

- ماذا تريد؟

نظر «كونجر» إلى الشكولاتة، وقال:

- مثلها.

كانت «لورا» تتفرس في «كونجر» وقد طوت ذراعَيها وأسندت مرفقَيها إلى الطاولة. ابتسمت له، وقالت:

- بالمناسبة، أنت لا تعلم اسمي.. «لورا هانت».

مدت يدها مُصافِحةً، أمسك يدها وهو يشعر بالحرج، ولا يدري ماذا يفعل!

غمغم قائلًا:

- اسمي «كونجر».

- «كونجر»؟ أهذا اسمك الشخصي أم اسم العائلة؟

قال مترددًا:

- الشخصي والعائلي؟! العائلي.. اسمي «أومر كونجر».

ضحكت، وقالت:

- «أومر»؟ مثل الشاعر «عمر الخيام»؟

- لا أعرفه.. أعرف عددًا قليلًا من الشعراء. لقد استرجعنا عددًا قليلًا جدًّا من الأعمال الفنية. عادةً، تُبدِي «الكنيسة» فقط اهتمامًا كافيًا...

توقَّف عن الكلام. كانت تُحدِّق به. شعر أن وجهه احمرَّ، فقال:

-... حيث جئت.

مُنهِيًا كلامه.

- «الكنيسة»؟ أيُّ كنيسة تعني؟

قال مرتبكًا:

- «الكنيسة»!

أحضر الساقي الكريم المخفوق بالشكولاتة، وقدَّمه له، فارتشف منه ممتنًّا. لكن «لورا» كانت لا تزال ترمقه.

قالت:

- أنت شخص غير عادي. «بيل» لم يحبك، ولكنه لا يحب كل مختلف عنه. إنه... مغفل للغاية. ألا تعتقد أن الإنسان عندما يكبر، ينبغي أن تتسع تصوراته؟

أومأ «كونجر» موافقًا.

- إنه يقول: على الأغراب أن يبقوا حيث جاءوا، ولا يأتون هنا. ولكنك لست بغريب جدًّا. إنه يعني «الشرقيين» كما تعرف.

أومأ «كونجر» موافقًا.

فُتِح الباب من ورائه، ودخل «بيل» إلى الغرفة. حدَّق فيهما، وقال:

- حسنًا.

رد «كونجر»:

- مرحبًا.

جلس «بيل»، وقال:

- حسنًا.. مرحبًا يا «لورا».

رمق «كونجر»، وقال:

- لم أتوقع أن أراك هنا.

توتر «كونجر»، كان يستطيع أن يشعر بعدوانية الفتى نحوه.
قال:
- أهناك شيء خطأ في ذلك؟
- كلا، لا شيء خطأ على الإطلاق.
حلَّ الصمت عليهم. وفجأة تحوَّل «بيل» إلى «لورا»، وقال:
- هيا بنا.. لنذهب.
قالت مندهشة:
- نذهب؟ لماذا؟
سحبها من ذراعها، وقال:
- فقط لنذهب! تعالي، السيارة بالخارج.
قالت:
- لماذا يا «بيل ولت»، هل تغار؟!
قال «بيل»:
- مَن هذا الشخص؟ هل تعرفين أيَّ شيء عنه؟ انظري إليه، إنه ملتحٍ...
انفجرت غاضبة:
- وماذا بعد؟ فقط لأنه لا يقود سيارة «باكرد»، ولم يرتَد حي الصفوة «كوبر هاي»!
قدَّر «كونجر» حجم الفتى؛ كان ضخمًا وقويًّا، ربما كان ينتمي لإحدى منظمات الأمن الشعبية.
قال «كونجر»:
- آسف، سوف أذهب.
سأله «بيل»:
- ما شأنك بالبلدة؟ ماذا تفعل هنا؟ لماذا تتواثب حول «لورا»؟
نظر «كونجر» نحو الفتاة، وهز رأسه، وقال:
- بلا أسباب. سوف أراك لاحقًا.
تحوَّل عنهما، ولكنه تجمَّد، عندما قطع «بيل» طريقه. تحسست أصابع «كونجر» سلاحه الصاعق نصف المشحون المُعلَّق في حزامه، ثم همس لنفسه: «لا تندفع أكثر».
ومع ذلك شغَّل السلاح الصاعق.
دارت الغرفة حوله. كانت ملابسه تحميه، فالأغطية بلاستيكية من الداخل.
صرخت «لورا»:

- ربَّاه!

ورفعت يدَيها لأعلى. ألقى «كونجر» سُبَّة. لم يكُن يريد أن يصيبها، ولكن أثر السلاح الصاعق سوف يزول. لم يكُن أكثر من نصف أمبير، فقط سوف يربكهما، يربكهما ويشلهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مشى خارجًا من الباب دون أن ينظر وراءه، وبلغ الركن عندما خرج «بيل» مستندًا إلى الجدار؛ كأنه رجل ثمل. مضى «كونجر». حلَّ الليل وهو يقطع الطريق متعبًا، إلى أن ظهر أمامه أحدهم. توقف، والتقط أنفاسه.

سمع صوت رجل يقول:

- مَن هناك؟

انتظر «كونجر» متوترًا.

كرر الرجل:

- مَن هناك؟

ونقر شيئًا ما في يده، انبعث ضوء.

مشى «كونجر» وهو يقول:

- إنه أنا.

- مَن «أنا»؟

- اسمي «كونجر»، أقطن في منزل «آل آبلتون».. مَن أنت؟

اقترب الرجل ببطء منه. كان يرتدي سترة جلدية، ويحمل مسدسًا في وسطه.

- أنا «الشريف ضف». أظن أنك الشخص الذي أريد أن أتحدث إليه.. هل كنت في «بلوم» اليوم، نحو الساعة الثالثة؟

- «بلوم»؟

- المقهى، حيث يتسكع الأولاد.

كان «ضف» قد أصبح إلى جانبه، وسلَّط الضوء على وجه «كونجر» الذي شعر بالعمى، فقال:

- أبعِد هذا الشيء عني.

مرت لحظة صمت، ثم قال «الشريف»:

- حسنًا.

وأدار المصباح صوب الأرض، ثم أردف:

- أنت الذي كنت هناك؟ ووقعت مشكلة بينك وبين الفتى «ولت».. هل هذا صحيح؟ كنت تحوم حول الفتاة...

قال «كونجر» بحذر:

- كنا نتناقش.

- ثم ماذا حدث؟

- لماذا؟

- أنا فقط أشعر بالفضول.. قالوا إنك قمت بشيء ما.

- قمت بشيء ما؟ قمت بماذا؟

- لا أعرف.. هذا ما أسأل عنه؟ قالوا إنهم شاهدوا ومضة، وكأن شيئًا قد حدث، ثم تجمدوا جميعًا.. لم يستطيعوا الحركة!

- كيف حالهم الآن؟

- بخير.

حل الصمت للحظات، ثم قال «ضف»:

- حسنًا.. ماذا كان ذلك؟ أهي قنبلة؟

ضحك «كونجر»، وقال:

- قنبلة؟ كلا، إنها قداحتي اشتعلت فيها النيران، كان هناك تسرُّب فيها والسائل اشتعل.

- ولماذا تأثروا كلهم.

- الرائحة.

حل الصمت ثانيةً.

وقف «كونجر» منتظرًا. راحت أصابعه تتحسس السلاح الصاعق في حزامه. نظر «الشريف» إلى أسفل يتفحصه، وقال:

- ما دمت تقول هذا... على أيِّ حال لم يُصِبهم ضرر حقيقي.

ثم أفسح الطريق لـ«كونجر»، وهو يردف:

- وهذا الفتى «ولت»، صانع مشكلات.

قال «كونجر»:

- إذن عِم مساءً.

ثم مضى متجاوزًا «الشريف».

- شيء أخير قبل أن تمضي سيد «كونجر».. لن تمانع لو أطلعتني على هويتك، أليس كذلك؟

- بلى، بالتأكيد.

وراح يبحث في جيبه، ثم أخرج محفظة، التقطها «الشريف»، ووجَّه مصباحه عليها. ظل «كونجر» يراقبه وهو بالكاد يتنفس. لقد عملوا بجد على هذه المحفظة،

فدرسوا الوثائق التاريخية، وآثار هذا الزمن، وكل الأوراق التي قدَّروا أنها قد تكون مفيدة.

أعاد «ضف» المحفظة له، وقال:

- حسنًا.. آسف لإزعاجك.

ثم أطفأ المصباح.

عندما وصل «كونجر» المنزل، وجد «آل آبلتون» متحلقين حول شاشة التلفزيون. لم ينظروا إليه حين أتى. تريث عند الباب، وقال:

- هل يمكن أن أسأل سؤالًا؟

تحولت نحوه السيدة «آبلتون» ببطء، فقال:

- هل يمكن أن أسأل: ما التاريخ؟

تفحصته، وقالت:

- التاريخ؟ إنه الأول من ديسمبر!

- الأول من ديسمبر! لماذا؟! لقد كان نوفمبر!

نظروا جميعًا نحوه.. فجأة تذكَّر: في القرن العشرين لا يزالون يستخدمون نظام الاثني عشر شهرًا؛ ولذلك يأتي ديسمبر عقب نوفمبر مباشرةً، ولا وجود لـ«كوارترمبر» بينهما.

شهق. إنه غدًا؛ الثاني من ديسمبر.. غدًا.

- أشكركم.. أشكركم.

صعد إلى الأعلى. كم هو غبي إذ نسى! «المُؤسِّس» سوف يُؤخَذ إلى الحبس في الثاني من ديسمبر؛ تبعًا لما كان مذكورًا في الصحيفة.. غدًا، وبعد اثنتَي عشرة ساعة فقط، سوف يظهر «المُؤسِّس» ويتكلم إلى الناس، ثم يتم أخْذه بعيدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم دافئ ومشرق. كان حذاء «كونجر» يسحق القشرة الذائبة من الجليد. بينما يمشي، كانت الأشجار مثقلة بالبياض من حوله. تسلق التل، ونزل من الجانب الآخر، منزلقًا كما يشاء. توقف ونظر حوله؛ كل شيء صامت، ولا يُوجَد شخص في مدى نظره. أخرج قضيبًا رفيعًا من وسطه، وأدار مقبضه. للحظة، لم يحدث شيء، ثم انبعث وميض في الهواء. ظهر «القفص البلوري» ورسا على الأرض ببطء. تنهَّد «كونجر». إن لمن الجيد أن يراه ثانيةً.. بعد كل شيء، إنه وسيلته الوحيدة للعودة.

مشى صاعدًا إلى حافة التل، ووقف ينظر حوله ببعض الرضا، واضعًا يدَيه في ظهره. حقل «هدسون» يمتد في كل الاتجاهات حتى بداية البلدة. خالٍ من النبات ومنبسط، تغطيه طبقة رقيقة من الثلج. إلى هنا، سوف يأتي «المُؤسِّس»، ومن هنا

سوف يتكلم للناس، ومن هنا سوف تأخذه السلطات، إلا أنه سوف يكون ميتًا قبل أن يأتوا. سوف يكون ميتًا قبل أن يتفوه حتى بكلمة. عاد «كونجر» إلى «القفص البلوري»، وفتح الباب ودلف إلى الداخل. أخذ المسدس الخفيف من الرف ووضع رصاصة فيه. إنه مستعد أن يذهب، ومستعد أن يطلق النار. للحظة فكَّر، هل ينبغي أن يُبقِي المسدس معه؟ كلا، ربما مضت ساعات قبل حضور «المُؤسِّس»، وربما اقترب منه شخص ما في هذه الأثناء. عندما يرى «المُؤسِّس» قادمًا عبر الحقل، فليذهب حينئذٍ ويجلب المسدس.

نظر «كونجر» نحو الرف، كانت هناك حزمة أنيقة، أخذها وفضها. أمسك الجمجمة بيده يديرها. على الرغم منه، شعر بشعور بارد يجتاحه.. هذه جمجمة رجل؛ جمجمة «المُؤسِّس»، الذي لا يزال حيًّا، والذي سوف يأتي إلى هنا، اليوم، ويقف في هذا الحقل على مسافة خمسين مترًا.. ماذا لو رأى هذه، رأى جمجمته، صفراء ومتآكلة، وعمرها يعود إلى قرنين؟ هل سوف يظل يتكلم ويعظ؟ هل سوف يتكلم، إذا رأى هذه الجمجمة المتبسمة القديمة؟ ماذا سوف يكون لديه ليقوله، ويعظ الناس به؟ ما الرسالة التي سوف يأتي بها؟ كيف له أن يتصرف دون يأس عندما يرى جمجمته الصفراء القديمة؟ من الأفضل أن يستمتع الناس بحيواتهم الفانية، عندما يكون لا يزال بمقدورهم أن يستمتعوا. إن رجلًا بمقدوره أن يحمل جمجمته، هو نفسه، في يدَيه، أمر يمكن وقوعه في حالات قليلة وحركات قليلة. ولكن، بدلًا من ذلك، سوف يقوم بوعظ... صوت ما.

أعاد «كونجر» الجمجمة والتقط السلاح من الرف. كان شيء ما يتحرك بالخارج. أسرع نحو الباب وقلبه يخفق.. هل هو؟ هل هو «المُؤسِّس»؟ متجولًا وحده في البرد، يبحث عن مكان ليُلقِي منه عظته؟ هل تأمَّل في كلماته، واختار عباراته؟ ماذا إذا كان بمقدوره أن يرى ماذا أعد له «كونجر»؟

فتح الباب، رافعًا مسدسه.. كانت «لورا»!

حدَّق فيها، كانت ترتدي سترة صوفية وحذاءً طويلًا، يداها في جيبَي السترة. خرجت سحابة من البخار من فمها وأنفها. صدرها راح يرتفع وينخفض. ظلا يتبادلان النظرات لوهلة في صمت.. في النهاية، خفض «كونجر» مسدسه.

قال:

- ما هذا؟ ما الذي تفعلينه هنا؟

أشارت بيدها. كان يبدو كأنها لم يعُد بمقدورها الكلام. عبس سائلًا: «ما مشكلتها»؟

قال ثانيةً:

- ما هذا؟ ماذا تريدين؟

نظر إلى حيث تشير بيدها، ولكنه لم يرَ شيئًا.

- إنهم قادمون.

- هم؟ مَن هم؟ مَن القادمون؟

- هم، رجال الشرطة. خلال الليل، طلب «الشريف» من شرطة الولاية إرسال السيارات. إنهم حولنا، في كل مكان، يقطعون الطرقات. هناك قرابة الستين منهم جاءوا. بعضهم من البلدة، بعضهم من أماكن أخرى.

توقفت عن الكلام وشهقت، ثم قالت:

- قالوا... قالوا...

- ماذا؟

- قالوا إنك أحد هؤلاء الشيوعيين. قالوا...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عاد «كونجر» إلى القفص، وأعاد المسدس إلى الرف، ثم خرج، وعاد إلى الفتاة.

- أشكركِ.. أجئتِ إلى هنا كي تخبريني؟ ألستِ تصدقينهم؟

- لا أعرف.

- هل جئتِ وحدكِ؟

- كلا، «جو» أحضرني في شاحنته من البلدة.

- «جو».. مَن «جو»؟

- «جو فرنش»، السباك، إنه صديق لأبي.

- لنذهب.

عبرا الثلوج، وصعدا المنحدر، ثم نزلا إلى الحقل. كانت شاحنة صغيرة متوقفة في منتصف الطريق إلى الحقل. خلف عجلة القيادة، يجلس رجل عجوز قوي البنية، يدخن غليونه. وقف الرجل عندما شاهدهما قادمين نحوه.

قال لـ«كونجر»:

- هل أنت المعني؟

- بلى، وشكرًا على تحذيركما لي.

هز السباك رأسه لا مباليًا، وقال:

- ليس لديَّ أيُّ فكرة عن ذلك. «لورا» تقول إنك على ما يُرام.

ثم تحوَّل عنهما مسترسلًا:

- ربما يهمك أن تعرف أن هناك المزيد من الناس قادمون. وليس ليُحذِّروك.. فقط بسبب الفضول.

نظر «كونجر» صوب البلدة، وقال:

- المزيد من الناس؟

ولمح أشكالًا سوداء تشق طريقها عبر الثلوج.

- أهل البلدة. لا يمكنك أن تجعل مثل هذه الأمور هادئة. ليس في بلدة صغيرة. كلنا ننصت لراديو الشرطة، وبعض الناس سمع من «لورا» أيضًا. وشخص التقط كلامها، ثم نشره في كل مكان...

اقتربت الأشكال أكثر. كان بمقدور «كونجر» أن يميز بعضهم: كان هناك «بيل ولت» وبصحبته بعض الأولاد من المدرسة الثانوية، و«آل آبلتون» يتبعونهم في الخلف. غمغم «كونجر»:

- حتى «إد دافيس».

كان حارس المخزن يمشي نحو الحقل برفقة ثلاثة أو أربعة رجال آخرين من البلدة.

قال «فرنش»:

- كلهم يحرقهم الفضول. حسنًا، أظن أنني سوف أعود للبلدة. ولا أريد أن تمتلئ شاحنتي بثقوب الرصاص. هيا يا «لورا».

نظرت نحو «كونجر» بعينين متسعتين، فكرر «فرنش»:

- هيا يا «لورا».. لنذهب. بالتأكيد لا يمكنكِ أن تبقي هنا. أنتِ تعرفين ذلك.

- ماذا؟

- ربما يحدث إطلاق رصاص. هذا ما قدموا لمشاهدته. ألا تعرف هذا يا «كونجر»؟

- بلى.

ابتسم «فرنش» ابتسامة صغيرة، وقال:

- هل لديك سلاح؟ أو أنك لا تبالي؟ لقد جمعوا عددًا كبيرًا من الناس في هذه الأثناء كما تعرف.. لن تكون وحيدًا.

بل هو يبالي.. حسنًا، لا بد أن يبقى هنا، وألَّا يسمح لهم أن يزيحوه بعيدًا. في أيِّ لحظة، سوف يظهر «المُؤسِّس»، ويدخل الحقل. هل هو أحد أهل البلدة، أتى ليقف صامتًا في الحقل، لينتظر ويراقب؟ أو ربما كان «جو فرنش»، أو أحد رجال الشرطة، أيُّ واحد منهم يمكن أن يجده يتقدم ليعظ الناس، وتلك الكلمات القليلة التي سوف يُلقِيها هذا اليوم، سوف تُصبِح عظيمة الآثار مع مرور الزمن. وعلى «كونجر» أن يكون هناك، مستعدًّا عند نُطْق الكلمة الأولى.

قال:

- بل أبالي. عُد أنت إلى البلدة، وخُذ الفتاة معك.

جلست «لورا» متصلبة إلى جوار «جو فرنش». أدار السباك المحرك، وقال:

- انظر إليهم؛ مثل النسور.. في انتظار أن يروا أحدهم يُقتَل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انطلقت الشاحنة مبتعدة، بينما جلست فيها «لورا» متصلبة وصامتة وخائفة. ظل «كونجر» يرقبها للحظة. ثم أسرع راجعًا إلى الغابة، بين الأشجار، متجهًا نحو

المنحدر. يمكن أن يهرب بالطبع، في أيِّ وقت يرغب فيه يمكن أن يهرب. كل ما عليه أن يفعله أن يقفز داخل «القفص البلوري» ويديره. ولكنه لديه مهمة، ومهمة هامة. يجب أن يكون هنا، في هذا المكان، وفي هذه اللحظة. وصل إلى «القفص»، وفتح الباب، ودخل ليلتقط مسدسه من الرف. هذا المسدس كافٍ لأن يعتني بهم. لاحظ أن شحنه مكتمل. تفاعُل متسلسل منه كفيل بأن يسحقهم جميعًا: رجال الشرطة، والفضوليين، وهؤلاء الساديين.. لن يأخذوه.. قبل أن يأخذوه، سوف يكونون جميعًا موتى، إذا كان هذا ما يرغبون فيه و...

كان ينظر إلى الجمجمة!

فجأة، وضع سلاحه، والتقط الجمجمة، ورفعها، وراح يُحدِّق في الأسنان، ثم تحوَّل إلى المرايا، ووضع الجمجمة ملاصقة لوجنته، إلى جانب وجهه. كان وجه الجمجمة مبتسمًا إلى جوار جمجمته، إلى جانب لحمه الحي.

كشف عن أسنانه، وقد فهم.

كانت جمجمته هو التي يحملها.. إنه الشخص الذي ينبغي أن يموت؛ هو «المُؤسِّس»!

بعد لحظة، وضع الجمجمة. لبضع دقائق ظل واقفًا أمام لوحة التحكم، يعبث فيها واجمًا. كان بمقدوره أن يسمع أصوات المحركات بالخارج، وضجيج الناس. هل ينبغي أن يعود إلى حاضره حيث ينتظره «المُتحدِّث»؟ يمكنه أن يفر بالطبع...

يفر؟

تحوَّل إلى الجمجمة.. كانت جمجمته، مصفرة من الزمن.. هل يهرب؟ هل يهرب بعدما أصبحت بين يدَيه؟!

ماذا يهم لو أجَّل الأمر شهرًا، أو عامًا، أو عشرة أعوام، أو حتى خمسين؟ الوقت لا يهم؛ فقد كان يشرب القهوة بصحبة فتاة وُلِدت قبل زمانه بمئة وخمسين عامًا. هل يهرب؟ لبعض الوقت، ربما. ولكنه لن يمكنه الهروب حقًّا، ليس أكثر مما هربه أيِّ شخص آخر في أي وقت مضى. فقط، هو يحمل بين يدَيه عظامه ورأسه الميت.. إنه لن يهرب.

خرج من الباب عبر الحقل خالي اليد. كان هناك العديد منهم يقفون في المحيط، يحتشدون معًا، منتظرين. يتوقعون قتالًا جيدًا، فهم يعرفون أن لديه شيئًا ما؛ لقد سمعوا عن الحادثة في محل المشروبات. كان هناك العديد من رجال الشرطة المسلحين بالبنادق والغاز المسيل للدموع، يزحفون عبر التلال والمنحدرات، وبين الأشجار، ويقتربون أكثر فأكثر.. كانت قصة قديمة في هذا القرن.

ألقى أحدهم شيئًا ما عليه. سقط فوق الثلوج عند قدمَيه، فنظر إلى أسفل؛ كان مجرد حجر.. ابتسم.

صاح أحدهم:

- هيَّا! أليس لديك قنابل؟

- ألقِ بقنبلة.. أنت أيها الملتحي، ألقِ بقنبلة.

- ألقِها عليهم.

- ألقِ عليهم بعض القنابل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدءوا يضحكون.. تبسم. أسند يدَيه إلى ظهره.. فصمتوا على نحو مفاجئ، وراحوا ينتظرون أن يتكلم.

قال ببساطة:

- أنا آسف، ليس لديَّ أيُّ قنابل.. أنتم مخطئون.

كانت هناك موجة من الهمهمات.

تابع حديثه، وقال:

- لديَّ مسدس.. مسدس فعَّال جدًّا. صنعه علم أرقى مما لديكم، ولكني لن أستخدمه أيضًا.

كانوا في حيرة.

نادى أحدهم:

- ولِم لا؟

عند طرف الحشد، كانت هناك سيدة عجوز تشاهد.. شعر بصدمة مفاجئة، لقد شاهدها من قبل.. أين؟ تذكَّر: ذلك اليوم في المكتبة. شاهدته عندما كان يمشي عند الزاوية. لاحظته يومئذٍ مندهشة.. في البداية لم يفهم لماذا؟

ابتسم «كونجر»، فالرجل الذي شاهدته تلك السيدة يومئذٍ يفرَّ من الموت، يلاقي الموت الآن بإذعان. راحوا يضحكون، يضحكون على الرجل الذي يملك مسدسًا ولكنه لن يستخدمه. ولكنه بحيلة علمية صغيرة وغريبة، سوف يظهر مرة أخرى بعد بضعة أشهر، بعدما تكون عظامه قد دُفِنت تحت أرض السجن، وهكذا سوف يقوم من الموت بطريقة ما!

سوف يموت، وبعد بضعة أشهر، سوف يعود حيًّا، لفترة وجيزة، فقط لفترة ظهيرة يوم واحد فحسب. ظهيرة يوم واحد! ولكنها فترة طويلة بما يكفي ليشاهدوه، وليفهموا أنه لا يزال حيًّا، ويعرفوا أنه بطريقة ما عاد للحياة. ثم سوف يظهر من جديد مرةً ثانيةً، بعد مرور مئتَي عام.. قرنان لاحقان. سوف يُولَد ثانيةً.. وُلِد، وهي حقيقة واقعة، في قرية تجارية صغيرة على سطح المريخ.. سوف ينمو، ويتعلم كيف يصطاد ويتاجر.

جاءت سيارة شرطة إلى حافة الحقل وتوقفت. تراجع الناس قليلًا. رفع «كونجر» يدَيه، وقال:

- لديَّ مفارقة غريبة بالنسبة لكم: هؤلاء الذين يأخذون الحيوات، سوف يفقدون حياتهم.. هؤلاء الذين يقتلون، سوف يموتون.. ولكن هذا الذي سوف يهب حياته سوف يحيا مرةً ثانيةً!

راحوا يضحكون ولكن على نحو ضعيف وعصبي. جاء رجال الشرطة، يمشون نحوه.. تبسم؛ لقد قال كل ما كان ينوي أن يقول.. إنها مفارقة صغيرة جيدة صاغها.

سوف يرتبكون بسببها، ويتذكرونها.

تبسم «كونجر»، ووقف منتظرًا موتًا قُدِّر مُسبَّقًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكاتب

«فيليب ك. ديك» Philip K. Dick (1928 - 1982): واحد من أكثر كُتَّاب الخيال العلمي تأثيرًا في اللغة الإنجليزية. ارتاد في رواياته وقصصه حقول الفلسفة والتاريخ والسياسة، معتمدًا في حبكاته على تناوُل العوالم البديلة والحكومات الاستبدادية واستبدال الوعي، الأمر الذي كان يعكس اهتماماته فيما وراء الطبيعة والفلسفة الدينية، ويُعبِّر عن تجاربه الشخصية في تناوُل العقاقير المخدرة، ومرضَي الاكتئاب والفصام اللذين ظل يعاني منهما معظم حياته.

وُلِد في «إلينوي»، ثم انتقل إلى «كاليفورنيا». بدأ نشر أعماله في خمسينيات القرن العشرين؛ فلم يلقَ نجاحًا تجاريًّا، برغم أنه كان معروفًا بين كُتَّاب وقراء الخيال العلمي، ثم تغير حظه بعد أن فازت روايته «الرجل في القلعة العالية» بجائزة «هوجو» لأفضل رواية خيال علمي عن عام 1963، ليصيب الشهرة التجارية بعدما حاز التقدير. يبلغ مجموع أعماله: أربعة وأربعين رواية، وما يزيد على مئة وعشرين قصة قصيرة. من أهم أعماله: «هل يحلم الأندرويد بالخروف الكهربي؟»، و«يوبيك».

تحولت العديد من أعماله إلى أعمال سينمائية وتلفزيونية، مثل أفلام: «عداء الشفرة»، و«النداء الجمعي»، و«تقرير الأقلية»، و«مكتب التعديل». بينما تحولت روايته «الرجل في القلعة العالية» إلى مسلسل تلفزيوني يحمل نفس الاسم عام 2014، وعقب نجاحه تم إنتاج مسلسل بالاعتماد على عدد من أشهر قصص المؤلف القصيرة بعنوان «أحلام فيليب ديك الكهربية».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المترجم

وسام الدين محمد عبده: أكاديمي ومترجم وكاتب مستقل. وُلِد في الإسكندرية عام 1974. يحمل درجة الدكتوراة في العلوم البيئية، وعمل أستاذًا في جامعات مصرية وعربية. يهتم بالشأن الثقافي العام، وبصورة خاصة الخيال العلمي والتاريخ والفلسفة، له العديد من الدراسات والمقالات الفكرية المنشورة في مجلات ومواقع مختلفة، وشارك في مجموعة قصصية لكُتَّاب الخيال العلمي العرب صدرت باسم: «خيال علمي 1» عن دار «ناشري» الكويتية. من ترجماته: «فرويد: أعماله وحياته» عام 2010. ومن ترجماته مع دار «منشورات ويلز»: رواية: «الطاعون القرمزي» للكاتب الأمريكي «جاك لندن» عام 2012، ورواية: «الشيء القادم من عالم آخر» للكاتب الأمريكي «جون و. كامبل».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

Notes

[←1]

«الجمجمة» The Skull: قصة قصيرة نُشِرت للمرة الأولى في عدد سبتمبر 1952 من مجلة «IF».

[←2]

«الحُمْر» The Reds: كلمة استُخدِمت في أثناء الحرب الباردة، إشارةً إلى جواسيس وعملاء الاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة.